

## مَعْرِفَةُ الْمَسِيحِ: أَقْوَالُ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ

### المحاضرة ٤: الراعي الصالح

أ.ر. سي. سرول

مَرَّةً أُخْرَى، نَتَابِعُ سِلْسِلَتَنَا التَّعْلِيمِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِأَقْوَالِ يَسُوعَ عَنْ ذَاتِهِ. وَفِي مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ تَكَلَّمْنَا عَنْ إِعْلَانِ يَسُوعَ "أَنَا هُوَ الْبَابُ"، حَيْثُ تَكَلَّمَ عَنْ بَابِ الْحُظَيْرَةِ، أَوِ الْمَدْخَلِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، إِلَى بَيْتِ الْآبِ. وَذَكَرْتُ أَنْذَاكَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ جَاءَ كَجَوَابٍ عَلَى رَدِّ الْفِعْلِ ضِدَّ شِفَاءِ يَسُوعَ الرَّجُلِ الَّذِي وُلِدَ أَعْمَى، وَفِي الْمَحَادَثَةِ نَفْسِهَا، دَعَا يَسُوعَ نَفْسَهُ الرَّاعِي الصَّالِحَ. وَذَكَرْتُ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْإِعْلَانَيْنِ "أَنَا بَابُ الْحُظَيْرَةِ"، وَ"أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ". لَكِنَّهُمَا يُشْكَلَانِ مَعًا جُزْءًا مِنْ الْمَحَادَثَةِ نَفْسِهَا الَّتِي كَانَتْ لِيَسُوعَ مَعَ شَعْبِهِ.

قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنِ الْإِعْلَانِ "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ"، دَعَوْنِي أَعْلَقُ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ عَلَى قَوْلِهِ "أَنَا هُوَ الْبَابُ". لِأَنَّ رَأْيَنَا أَنَّهُ فِي نَهَايَةِ تِلْكَ الْمُرْحَلَةِ مِنَ الْمَحَادَثَةِ، قَالَ "إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ". وَتَكَلَّمَ عَنِ الْخَلَاصِ وَعَنِ ارْتِبَاطِهِ بِكُونِهِ الْمَدْخَلِ أَوِ الْبَوَابَةِ أَوِ الْبَابِ. وَأَرَدْتُ لَفْتُ انْتِبَاهَكُمْ إِلَى رُومِيَّةِ الْأَصْحَاحِ ٥، بَعْدَ شَرْحِ بُولُسِ الْإِنْجِيلِ وَعَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ بِالْإِيمَانِ، حِينَ انْتَقَلَ بُولُسُ إِلَى الْأَصْحَاحِ ٥ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةِ، تَكَلَّمَ عَنْ نَتَائِجِ أَوْ فَوَائِدِ تَبَرِيرِنَا، وَمَا حَقَّقَهُ الْمَسِيحُ لِشَعْبِهِ فِي عَمَلِ تَبَرِيرِهِ إِيَّانَا. وَنَقَرْنَا فِي الْأَصْحَاحِ ٥ مِنْ رِسَالَةِ رُومِيَّةِ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةَ "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ". إِذَا، هَذِهِ هِيَ الْفَائِدَةُ الْأُولَى، مُصَالِحَتُنَا مَعَ اللَّهِ؛ انْتَهَى زَمَنُ الْإِنْفِصَالِ. لَمْ تَعُدْ تُوجَدُ حَرْبٌ قَائِمَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ. لَدَيْنَا سَلَامٌ بِفَضْلِ تَبَرِيرِنَا.

وَمِنْ ثَمَّ الْفَائِدَةُ الْغَائِبَةُ الَّتِي يَذْكُرُهَا الرَّسُولُ بُولُسُ هِيَ الْآتِيَةُ "الَّذِي بِهِ"، أَيِ يَسُوعَ، "أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالْإِيمَانِ، إِلَى هَذِهِ التَّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ". إِذَا، الْكَلِمَةُ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا بُولُسُ هُنَا لِيُوصِفَ مَا حَقَّقَهُ الْمَسِيحُ لَنَا هِيَ "الدُّخُولُ" إِلَى الْآبِ. وَهَذَا مَا يَقْصِدُهُ يَسُوعُ هُنَا حِينَ يَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْبَابُ. الْبَابُ هُوَ الْمَدْخَلُ. إِنْ أَرَدْتُ الدُّخُولَ إِلَى مَنْزِلِي، لَا أَتَسَلَّلُ عَبْرَ الشَّبَاكِ، إِلَّا إِذَا أَضَعْتُ مِفْتَاحِي أَوْ مَا شَابَهَ. عَادَةً، إِنْ رَأَيْتَ شَخْصًا يَتَسَلَّلُ خَلْسَةً عَبْرَ شَبَاكِ مَنْزِلٍ مَا، فَإِنَّكَ تَسْتَدْعِي الشَّرْطَةَ لِأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّهُ سَارِقٌ. الطَّرِيقَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِدُخُولِ مَبْنَى مَا هِيَ الْمَدْخَلُ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَابٍ. إِذَا يَسُوعُ هُوَ ذَلِكَ الْبَابُ، أَوْ ذَلِكَ الْمَدْخَلُ إِلَى بَيْتِ الْآبِ، إِلَى مُحَضَّرِ الْآبِ.

مَرَّةً أُخْرَى، تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ مُرْتَبِطٌ بِصُورَةِ حَاجِزِ الْمَدْخَلِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى أَيَّامِ سِفْرِ التَّكْوِينِ، فَحِينَ طُرِدَ آدَمُ وَحَوَاءُ مِنَ الْجَنَّةِ، عَيَّنَ اللَّهُ حَارِسًا، وَضَعَ اللَّهُ مَلَكًَا مَعَ لَهِيْبٍ سَيْفٍ عِنْدَ مَدْخَلِ الْجَنَّةِ لِمَنْعِ الدُّخُولِ مُجَدِّدًا إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ. وَتَرَى الصُّورَةَ نَفْسَهَا تَتَجَلَّى لَدَى بِنَاءِ حَيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ أَوَّلًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ ثَمَّ الْهَيْكَلِ، حَيْثُ كَانَ يُوجَدُ جِدَارٌ فَاصِلٌ، أَوْ حَاجِزٌ يَفْصِلُ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ عَنِ الْقُدْسِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَحِقُّ لِأَحَدٍ سِوَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَمَرَّةً

في السنة فقط، وبعد ممارسة طقوس تطهير دقيقة، بالدخول إلى قُدس الأقداس. لَكِنْ عِنْدَمَا مَاتَ الْمَسِيحُ، انشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلٍ، وَرُفِعَ الْحَاجِزُ، وَصَارَ لِشَعْبِ اللَّهِ دُخُولٌ مِنْ خِلَالِ عَمَلِ الْمَسِيحِ. إِذَا، هُوَ كَانَ الْبَابَ لِعُبُورِ الْحَاجِزِ. كَانَ الْبَابَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى قُدس الأقداس. كَانَ الْبَابَ الَّذِي نَدْخُلُ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى مُحَضَّرِ اللَّهِ.

بَعْدَ قَوْلِ ذَلِكَ، فَلْتَرْجِعْ إِلَى الْمُحَادَثَةِ، وَتَتَابِعْ حَيْثُ يُضَيَّفُ يَسُوعُ إِلَى تَشْبِيهِ نَفْسِهِ بِالْبَابِ، فِكْرَةٌ كَوْنِهِ الرَّاعِي الصَّالِحِ. فِي الْآيَةِ ١١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١٠ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا يَقُولُ يَسُوعُ "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْدُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْحِرَافِ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًا، الَّذِي لَيْسَتْ الْحِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الذَّنْبَ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْحِرَافَ وَيَهْرُبُ، فَيَخْطِفُ الذَّنْبَ الْحِرَافَ وَيَبَدِّدُهَا. وَالْأَجِيرُ يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ، وَلَا يُبَالِي بِالْحِرَافِ. أَمَّا أَنَا فَأَنَا الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي."

وَالآنَ، دَعُونِي أَقَارِنُ كَلِمَاتِ يَسُوعَ تِلْكَ بِالْمَزْمُورِ الشَّهِيرِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مِنْ بَيْنِ مَزَامِيرِ دَاوُدَ، وَهُوَ الْمَزْمُورُ ٢٣ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ، حَيْثُ شَبَّهَ اللَّهُ بِالرَّاعِي قَائِلًا: "الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُعْزِئُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاغٍ خُضِرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا" لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الرَّاعِي مَعِي. "عَصَاكَ وَعُكَّازَكَ هُمَا يُعَزِّيَانِي". هَذَا أُسْلُوبٌ لَافِتٌ فِي الْمَزْمُورِ حَيْثُ يَتَذَكَّرُ دَاوُدُ الْأَيَّامَ الَّتِي كَانَ فِيهَا رَاعِيًا. تَذَكَّرُونَ حِينَ كَانَ لَا يَزَالُ بَعْدَ قَتْلِ، وَكَانَتْ جُيُوشُ إِسْرَائِيلَ تُوَاجِهُهُ الْجُيُوشُ الْفَلَسْطِينِيَّةُ، حِينَ نَزَلَ الْعِمْلَاقُ جُلِيَاتٍ إِلَى الْوَادِي، وَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ وَإِلَى نُزُولِ مُبَارِزٍ مِنْ صُفُوفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُحَارِبُ ذَلِكَ الْعِمْلَاقَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، حَيْثُ يَنَالُ الرَّايحُ كُلَّ شَيْءٍ. فَمَنْ يَرِبِحُ الْمَعْرَكَةَ، يَنْصُرُ قَرِيبَهُ. فَتَنْظَرُ شَاوُلُ مِنْ حَوْلِهِ وَلَمْ يَجِدْ أَيًّا مِنْ مُحَارِبِيهِ مُسْتَعِدًّا لِمُوَاجَهَةِ "جُلِيَاتٍ"، وَحَدَّثَ أَنَّ دَاوُدَ وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ لِيُعْطِيَ الطَّعَامَ لِإِخْوَتِهِ، وَهُمْ جُنُودٌ فِي الْجَيْشِ. وَسَمِعَ التَّحَدِّيَّ وَالتَّعْيِيرَ عَلَى لِسَانِ ذَلِكَ الْوَثْنِيِّ، جُلِيَاتٍ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ لَا أَحَدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَقِفُ فِي وَجْهِ جُلِيَاتٍ. فَصَعِدَ إِلَى شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: "دَعْنِي أَذْهَبُ وَأُحَارِبُ الْعِمْلَاقَ". تَذَكَّرُونَ الْقِصَّةَ. وَحِينَ سَخِرُوا مِنْهُ قَائِلِينَ "أَنْتَ مُجَرَّدُ وُلْدٍ. لَا يُمَكِّنُكَ فِعْلُ ذَلِكَ"، قَالَ: "مَهْلًا، أَنَا حَارِبْتُ الذَّبَّ حِينَ هَاجَمَ خِرَافِي. وَأَنْقَذَنِي اللَّهُ مِنْ يَدِ الذَّبِّ وَهُوَ سَيَنْقِذُنِي مِنْ جُلِيَاتٍ". وَبِالطَّبْعِ، الْكُلُّ يَعْرِفُ بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ.

إِذَا، كَانَ دَاوُدُ مُتَمَرِّسًا فِي الْقِتَالِ لِيَحْيِيَ خِرَافَهُ مِنَ الْأَسَدِ وَمِنَ الذَّبِّ، وَكَانَ لَدَيْهِ عَصَا وَمِقْلَاعٌ. لَقَدْ رَأَيْتُمْ عَصَا الرَّاعِي الْمُعْجَبَةِ فِي آخِرِهَا. وَفِي الصَّلَاةِ، قَالَ دَاوُدُ إِنَّ عَصَا اللَّهِ وَعُكَّازَهُ يُعَزِّيَانِي. وَذَلِكَ الْاِعْوَجَاجُ الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي الصُّورِ وَالرُّسُومِ لِعَصَا الرَّاعِي، مَعَ ذَلِكَ الْإِنْخِنَاءِ فِي الْآخِرِ، كَانَ يُسَاعِدُ الرَّاعِي عَلَى مَدِّ يَدِهِ وَسَحْبِ الْحِرَافِ إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ إِنْ انْحَرَفَتْ نَحْوَ الْحَاقَّةِ أَوْ الْمُنْحَدَرِ، أَوْ إِنْ عُلِقَتْ فِي صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ مَا أَوْ فِي حَنْدَقٍ، يُمَكِّنُ لِلرَّاعِي أَنْ يَرُدَّهَا وَأَنْ يُنْقِذَهَا عَبْرَ اسْتِعْمَالِ الْعَصَا. كَانَتْ الْعَصَا الْأَدَاةَ الدِّفَاعِيَّةَ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا الرَّاعِي لِصَدِّ الْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرِسَةِ، أَوْ حَتَّى السَّارِقِ الَّذِي

يَأْتِي مُحَاوَلًا سَرَقَةَ الْخِرَافِ. إِذَا، هُنَا، تَطَّلَعَ دَاوُدُ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَنَّهُ الرَّاعِي الْعَظِيمُ، وَقَالَ لَهُ: "يَا رَبُّ عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ يُعَرِّيانِي، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قُوَّتَكَ مَوْجُودَةٌ لِتَحْمِيَنِي. وَحَتَّى إِنْ سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَجْتَازَهُ وَحْدِي".

مَرَّةً أُخْرَى، عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعُدْ شَعْبَهُ أَبَدًا بِأَنَّهُمْ لَنْ يَمُرُّوا فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ. سَنَدْخُلُ جَمِيعًا عَبْرَ ذَلِكَ الْوَادِي فِي مَرَحَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ. لَكِنَّ الْوَعْدَ الْأَسَاسِيَّ الَّذِي يَقْطَعُهُ اللَّهُ لِشَعْبِهِ هُوَ أَنَّهُ لَنْ يُرْسِلَنَا أَبَدًا إِلَى هُنَاكَ وَحَدَنَا. وَلَا يُمَكِّنُنِي تَحْتِلُّ أَيِّ مَكَانٍ قَدْ أَشْعُرُ فِيهِ بِالرُّعْبِ إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَعِي. إِذَا، هَذَا هُوَ رَجَاؤُنَا كَمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمَكِّنُنَا الْإِتِّكَالَ عَلَى وُجُودِ الرَّاعِي الْأَعْظَمِ لِنُفُوسِنَا مَعَنَا أَيَّا تَكُنِ الظُّرُوفُ. يَا لَهُ مِنْ تَشْبِيهِ رَائِحِ! يَا لَهُ مِنْ أَمْرِ رَائِحِ أَنَّ دَاوُدَ، الَّذِي هُوَ، وَكَمَا ذَكَرْتُ، الْمَلِكُ الرَّاعِي، الَّذِي يَتَّبَعُ بِمَجِيءِ ابْنِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي هُوَ تَجَسَّدُ الرَّاعِي الْإِلَهِيِّ، وَتَجَسَّدُ ذَلِكَ الَّذِي يُمَجِّدُهُ دَاوُدُ فِي الْمَزْمُورِ ٢٣، ذَلِكَ الَّذِي هُوَ حَقًّا الرَّاعِي الصَّالِحُ.

وَالآنَ، فَلْتَرْجِعْ إِلَى إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا وَتَفَرَّأْ مِنْ جَدِيدٍ. نَحْنُ فِي الْبِدَايَةِ حَيْثُ يَقُولُ يَسُوعُ "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْدُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ"، لِاحْظُوا أَنَّ أَوَّلَ أَمْرٍ يَفْعَلُهُ هُنَا هُوَ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الرَّاعِي الصَّالِحِ وَالْأَجِيرِ. وَالْفَرْقُ هُوَ الْآتِي: الرَّاعِي الصَّالِحُ يَمْلِكُ الْخِرَافِ. كَانَتْ الْخِرَافُ مُلْكَهُ. وَكَانَ يَجْنِي رِزْقَهُ مِنَ الْخِرَافِ. وَكَانَ مُلْتَزِمًا بِالاهْتِمَامِ بِالْخِرَافِ. أَمَّا الْأَجِيرُ فَهُوَ شَخْصٌ تَسْتَعْدِمُهُ وَيَتَقَاضَى أَجْرُهُ بِالسَّاعَةِ، تُوظَّفُهُ لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ لِيَعْتَنِي بِالْخِرَافِ، لَكِنَّ لَيْسَتْ لَدَيْهِ فَائِدَةٌ مُكْتَسَبَةٌ مِنَ الْخِرَافِ. فَهُوَ لَا يَمْلِكُ الْخِرَافِ. وَلَيْسَتْ لَدَيْهِ أَيُّ عَاطِفَةٍ مُجَاهَهَا. وَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ أَسَاسًا بِرِفَاهِيَةِ الْخِرَافِ. وَهَكَذَا أَمَامَ ظُهُورِ أَوَّلِ عِلَامَةٍ عَلَى وُجُودِ مُشْكَلَةٍ، عِنْدَمَا يَأْتِي الْحَيَوَانُ، عِنْدَمَا يَأْتِي الْحَيَوَانُ الْبَرِّيُّ وَالْمُفْتَرِسُ، أَوْ عِنْدَمَا يَأْتِي السَّارِقُ، يَهْرُبُ الْأَجِيرُ. لَكِنَّ مَا يَقُولُهُ يَسُوعُ هُوَ "لَيْسَ هَذَا مَا أَفْعَلُهُ مَعَ خِرَافِي. لِأَنِّي أَنَا الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يُدَافِعُ عَنِ خِرَافِهِ حَتَّى الْمَوْتِ". وَيَقُولُ يَسُوعُ هُنَا، مُتَنَبِّئًا عَنِ الصَّلِيبِ "أَنَا أَبْدُلُ نَفْسِي عَنِ خِرَافِي". لَيْسَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى أَوْ الْوَحِيدَةَ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا يَسُوعُ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَمُجَدِّدًا، هُوَ يُوَضِّحُ فِي مَكَانٍ آخَرَ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَبْدُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ بِصِفَتِهِ الرَّاعِي الصَّالِحِ، فَهُوَ يُوَضِّحُ تَمَامًا أَنَّ مَا مِنْ أَحَدٍ يَأْخُذُ حَيَاتَهُ مِنْهُ.

تَذَكَّرُوا كَيْفَ تَعَرَّضَ لِلسُّخْرِيَةِ حِينَ كَانَ مُعَلِّقًا عَلَى الصَّلِيبِ. قَالُوا لَهُ: "خَلَّصْتَ آخَرِينَ وَالآنَ خَلَّصْ نَفْسَكَ، انزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ"، وَكَانَ يَسُوعُ يَعْلَمُ أَنَّ جِيُوشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَانَتْ تَحْتِ تَصَرُّفِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ رَدَّ عَلَى تِلْكَ السُّخْرِيَةِ لاسْتَطَاعَ اسْتِدْعَاءَ السَّمَاءِ بِأَسْرِهَا وَقَتْلَ الْجَمِيعِ عِنْدَ أَقْدَامِ الصَّلِيبِ. لَكِنَّ أَنْيَذِ، مَا كَانَ لِيَحَافِظَ عَلَى دَعْوَتِهِ. وَمَا كَانَ لِيَحَقِّقَ مَا دُعِيَ لِأَجْلِهِ. وَمَا كَانَ لِيَمُوتَ. تَذَكَّرُوا تِلْكَ الْحَادِثَةَ، حِينَ أُرْسِلُوا جَمِيعَ الْخِرَاسِ لِيُمْسِكُوا بِهِ وَيَقْبِضُوا عَلَيْهِ وَلَمْ تَكُنْ سَاعَتُهُ قَدْ جَاءَتْ. فَمَرَّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَلَمْ يَمُدَّ أَحَدٌ يَدَهُ عَلَيْهِ. وَهُوَ لَمْ يَمُتْ إِلَّا عِنْدَمَا حَانَتْ سَاعَةُ مَوْتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لِمَنْ قَبِضُوا عَلَيْهِ "لَا سُلْطَانَ لَكُمْ عَلَيَّ إِلَّا مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ إِيَّاهُ". وَأَوْضَحَ أَنَّ حَتَّى مَمَاتِهِ كَانَ ذَبِيحَةً طَوْعِيَّةً.

إِنَّهُ هُوَ مَنْ بَدَّلَ حَيَاتَهُ. لِمَاذَا؟ لَيْسَ لِأَجْلِ مَصْلَحَتِهِ الْخَاصَّةِ بَلْ لِأَجْلِ خِرَافِهِ. وَخِرَافُهُ هُمْ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُمْ الْآبُ. وَهُوَ قَالَ "أَنَا أَعْرِفُهَا بِأَسْمَائِهَا. وَهِيَ تَعْرِفُنِي". هِيَ تَعْرِفُ صَوْتِي.

مَرَّةً أُخْرَى، أَعْلَنَ يَسُوعُ هَذَا الْأَمْرَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَتَّى عِنْدَمَا كَانَ يَخْضَعُ لِلْمُحَاكَمَةِ أَمَامَ بِيلاطس الْبُنْطِي، وَسَأَلَهُ بِيلاطسُ عَنْ زَعْمِهِ أَنَّهُ مَلِكٌ. وَقَالَ يَسُوعُ "لِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي". خِرَافِي تَعْرِفُنِي، خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي. خِرَافِي الَّتِي هِيَ خَاصَّتِي هِيَ تِلْكَ الَّتِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا الْآبُ، وَهِيَ تَتَّبِعُنِي لِأَنِّي أَبْدُلُ حَيَاتِي لِأَجْلِهَا، وَقَالَ:

وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًا، الَّذِي لَيْسَتْ الْخِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الذَّنْبَ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ وَيَهْرُبُ. فَيَخْطِفُ الذَّنْبُ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا. وَالْأَجِيرُ يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ، وَلَا يُبَالِي بِالْخِرَافِ. أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي، كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ. وَلِي خِرَافٌ أُخْرَى لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِي بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدًا.

وَالآنَ، دَعُونِي أَتَوَقَّفُ هُنَا قَلِيلًا. فِي هَذِهِ الْمُحَادَثَةِ، قَالَ يَسُوعُ كَلِمًا أَثَارَ غَضَبَ الْفَرِيسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ، حِينَ قَارَنَ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الرَّاعِي الصَّالِحِ وَالْخِرَافِ، وَكَيْفَ أَنَّ الرَّاعِي يَعْرِفُ خِرَافَهُ وَيُجِبُّهَا، وَالْخِرَافُ تَعْرِفُ الرَّاعِي وَتُجِبُّهُ. شَبَّهَ ذَلِكَ بِعِلَاقَتِهِ بِالْآبِ. الْآبُ يَعْرِفُنِي مِثْلَمَا يَعْرِفُ الرَّاعِي الصَّالِحُ خِرَافَهُ. وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ. ثُمَّ قَامَ بِهَذَا الْإِعْلَانِ الْمُبْهِمِ "وَلِي خِرَافٌ أُخْرَى لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَظِيرَةِ". تَذَكَّرُوا أَنِّي أَخْبَرْتُكُمْ فِي إِطَارِ كَلَامِي عَنِ الْإِعْلَانِ "أَنَا هُوَ الْبَابُ"، أَنَّ الْخَظِيرَةَ الْكَبِيرَةَ كَانَتْ تَتَّصِفُ أَكْثَرَ مِنْ قَطِيعٍ وَاحِدٍ، وَأَكْثَرَ مِنْ رَاعٍ وَاحِدٍ. وَلِأَنَّ الرِّعَاةَ كَانُوا يَعْرِفُونَ خِرَافَهُمْ، لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَخِيرَةُ تَخْتَلِطُ وَتَضِيعُ بَيْنَ ذَلِكَ الْعَدَدِ الْكَبِيرِ مِنَ الْخِرَافِ فِي الْخَظِيرَةِ الْمَوْجُودَةِ هُنَاكَ. لَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ "وَلِي خِرَافٌ أُخْرَى لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَظِيرَةِ".

رَأَيْتُ شَقَى أَنْوَاعِ التَّفْسِيرَاتِ لِهَذَا الْمَقْطَعِ وَالْبَعْضُ مِنْهَا غَرِيبٌ جِدًّا. سَمِعْتُ مُنَاقَشَةً لِهَذَا الْمَقْطَعِ تَعْتَبِرُهُ بُرْهَانًا عَلَى وُجُودِ كَائِنَاتٍ فَضَائِيَّةٍ، وَأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ جَاءَ يَسُوعُ لِيُخَلِّصَ شَعْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ ذَهَبَ إِلَى كَوَاكِبٍ أُخْرَى أَوْ إِلَى نُجُومٍ أُخْرَى، وَجَمَعَ شَعْبَهُ هُنَاكَ مِنْ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَى وَصَمَّهُمْ إِلَى الْقَطِيعِ الْكَبِيرِ. لَا أَظُنُّ أَنَّ هَذَا مَا يَقْصِدُهُ هُنَا. أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ السَّهْلِ تَمْيِيزُ مَا يَتَكَلَّمُ عَنْهُ يَسُوعُ حِينَ يَتَوَجَّهُ إِلَى جُمْهُورٍ مِنَ الْيَهُودِ. إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مُعْضَلَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَعَنْ كَوْنِ خِرَافِ اللَّهِ غَيْرَ مُحْضُورَةٍ بِإِسْرَائِيلَ، بَلْ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَبِيلَةٍ وَأُمَّةٍ جَمَعَ يَسُوعُ خِرَافَهُ. وَهُوَ يَأْتِي بِخِرَافٍ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَمَتَّقِي الرَّبِّ وَالسَّامِرِيِّينَ إِلَى جَسَدِهِ، الْكَنِيسَةِ. حَيْثُ يُوْجَدُ ضَمْنَ كَنِيسَتِهِ قَطِيعٌ وَاحِدٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ، وَلَا

يُوجَدُ رَاعٍ مُخْتَلِفٌ لِلأَمَمِ، كَمَا لَا يُوجَدُ رَاعٍ مُخْتَلِفٌ لِلسَّامِرِيِّينَ، بَلْ يُوجَدُ قَطِيعٌ وَاحِدٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ وَالْكُلُّ يَنْتَبِي إِلَى اللَّهِ.

اليَوْمَ المَاضِي، اسْتَمَعْتُ إِلَى إِعَادَةِ بَثِّ لَيْرِنَامَجٍ إِذَاعِيٍّ لِلدُّكْتُورِ الرَّاحِلِ جَايمِسْ مُونْتِجُومِرِي بُويسَ، وَكَانَ جِيمِ يَتَكَلَّمُ فِي تِلْكَ المِحَاضِرَةِ عَنِ مَيْلِنَا كَمَسِيحِيِّينَ إِلَى الظَّنِّ أَنَّ الطَّرِيقَ الوَحِيدَ الَّذِي يُسِّرُ اللَّهُ هُوَ طَرِيقُنَا نَحْنُ. وَإِنْ لَمْ تَقْمِ بِعَمَلِ المَلَكُوتِ عَلَى طَرِيقَتِنَا فَرَبَّمَا أَنْتِ لَسْتِ فِي المَلَكُوتِ. وَفِي حِينٍ لَا أَحَدَ بَيْنَنَا اسْتَوْعَبَ أُمُورَ اللَّهِ وَفَهَمَهَا بِشَكْلِ كَامِلٍ، عِنْدَمَا نَرَى شَخْصًا فِي كَنِيسَةٍ أُخْرَى أَوْ فِي خِدْمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ خِدْمَتِنَا يَفْعَلُ أُمُورًا مُخْتَلِفَةً قَلِيلًا عَنِ طَرِيقَةِ قِيَامِنَا بِهَا، عِنْدَمَا نَقُومُ بِعَمَلِ المَسِيحِ، مَاذَا يُفْتَرَضُ بِنَا أَنْ نَفْعَلَ؟ يُفْتَرَضُ بِنَا أَنْ نَفْرَحَ بِذَلِكَ. لَيْسَ هَذَا نَوْعًا مِنَ المَسْكُونِيَّةِ، حَيْثُ نَقُولُ إِنَّهُ لَا نُوجَدُ أَيُّ فُرُوقٍ وَلَا يَهُمُّ مَا نُؤْمِنُ بِهِ. أَنَا لَا أَقُولُ ذَلِكَ. بَلْ أَقُولُ إِنَّهُ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَمَسُّكِنَا بِمَا نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ هُوَ الحَقُّ لَا يَزَالُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْنَا الاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ بَيْنَ المَسِيحِيِّينَ الحَقِيقِيِّينَ نُوجَدُ شَتَّى أَنْوَاعِ الأَسَالِبِ وَالأَنْظِمَةِ وَالخِدْمَاتِ وَالأَهْتِمَامَاتِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ لَا تَتَطَابَقُ دَائِمًا مَعَ طَرِيقَتِنَا، لَكِنَّا جَمِيعًا فِي المَسِيحِ. نَحْنُ جَمِيعًا جُزْءٌ مِنَ القَطِيعِ نَفْسِهِ، وَنَحْنُ نَتَطَلَّعُ إِلَى الرَّاعِي الصَّالِحِ، وَهُوَ يَفُودُ خَطَوَاتِنَا.

ثُمَّ قَالَ فِي الآيَةِ ١٧ "لِهَذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لِأَنِّي أَصْعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَصْعَهَا أَنَا مِنْ دَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَصْعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيضًا". هَا هُوَ يُشِيرُ مُجَدِّدًا إِلَى ذَلِكَ الهَيْكَلِ الَّذِي سَيَبْنِيهِ مَرَّةً أُخْرَى خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ تَدْمِيرُهُ. قَالَ: "سَأَصْعُ نَفْسِي. وَسَأَمُوتُ لِكَيْ سَأَقُومَ مِنْ جَدِيدٍ". مَنْ فَهَمَ الكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا هُنَا أَثْنَاءَ قَوْلِهِ إِيَّاهَا؟ لَكِنْ مَنْ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا مَوْجُودِينَ هُنَاكَ لَمْ يُفَكِّرْ فِي تِلْكَ الأُمُورِ فِي أَحَدِ القِيَامَةِ؟ "لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَصْعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيضًا. هَذِهِ الوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي". قِيلَ لَنَا فِي مَكَانٍ أُخْرٍ أَنْ يُسَوِّغَ هُوَ اسْتِغْفَافَ وَرَاعِي نَفُوسِنَا. هَذِهِ هِيَ دَعْوَةُ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ، وَهِيَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَبِصِفَتِهِ ابْنِ اللَّهِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَسْئُولًا عَنِ نَفُوسِنَا وَمَنْحَهُ سُلْطَانًا عَلَيَّهَا، عَلَى أَنَّهُ رَاعِي نَفُوسِنَا. إِذَا هُوَ قَالَ "هَذِهِ الوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي". ثُمَّ إِلَيْكُمْ مَا حَدَّثَ "فَحَدَّثَ أَيضًا انْشِقَاقَ بَيْنَ اليَهُودِ بِسَبَبِ هَذَا الكَلَامِ. فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْدِي. لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ؟ آخَرُونَ قَالُوا: لَيْسَ هَذَا كَلَامٌ مِنْ بِهِ شَيْطَانٌ. أَلَعَلَّ شَيْطَانًا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ العُمَيَّانِ؟" هَذَا تَفْكِيرٌ صَحِيحٌ، الشَّيْطَانُ لَا يَمْلِكُ هَذَا السُّلْطَانَ. وَهُمْ قَالُوا: "مَهَلًا، لَقَدْ أَثْبَتَ لِلتَّوَّابَةِ أَنَّهُ هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ عَبْرَ شَفَائِهِ ذَلِكَ الحُرُوفِ الأَعْمَى مُنْذُ الوِلَادَةِ".

قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ يَسُوعُ، وَفِي إِحْدَى مُحَادَثَاتِهِ الأَخِيرَةِ مَعَ تَلَامِيذِهِ بَعْدَ القِيَامَةِ، التَقَى بِطَرُوسَ وَسَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "أَتُحِبُّنِي يَا بَطْرُوسُ؟" وَفِي المَرَّاتِ الثَّلَاثِ أَجَابَهُ بِطَرُوسُ "نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَيُّ أَحِبُّكَ". وَفِي المَرَّاتِ الثَّلَاثِ، قَالَ يَسُوعُ لِطَرُوسَ، وَامْتِدَادًا لِكَنِيسَةِ العُصُورِ كُلِّهَا، "إِنْ كُنْتُ تُحِبُّنِي، ارْغِ خِرَافِي". هِيَ لَيْسَتْ خِرَافَ بَطْرُوسَ، وَلَا خِرَافِي أَنَا، إِذَا خِرَافُهُ هُوَ. وَنَحْنُ مَدْعُورُونَ لِلسَّيْرِ عَلَى حُطَى الرَّاعِي الصَّالِحِ.

الدكتور آر. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو St. Andrews في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Chapel Reformation Bible College). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" و"أدهشني الألم".